Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-796X

vol 36 No.1 Dec. 2021

من مظاهر الوجودية في شعر صلاح عبد الصبور

أ.م.د بشرى حنون محسن /جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

One of the manifestations of existentialism in the poetry of Salah Abdel-Sabour

Assistant Prof. Dr. Bushra Hanoun Mohsen

University of Karbala / College of Islamic Sciences

Summary

The one who is browsing modern Arabic poetry, must attract his attention to words that belong to the existential field more than others, such as: boredom, sadness, emptiness, loss ... etc. Sadness, anxiety, and estrangement highlight general existential themes in his poetry. Even the characters he employed in his texts are .anxious, existential characters in general

The poet has tended to existential philosophizing, because of his sense of futility, anxiety and dark bitterness. Through the selected examples from the poetic achievement of Salah Abdel-Sabour, we will show the reader the face of .existentialism, its ideas and propositions

Existentialism in the poetry of Salah Abdel-Sabour is nothing but one of the stages of .his poetic development, which are intertwined stages between them

الكلمات المفتاحية: الحزن, القلق, الضياع, السأم, الضجر ,التيه

الملخص

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-796X

vol 36 No.1 Dec. 2021

إن المتصفح للشعر العربي الحديث، لابد أن تثير انتباهه الكلمات التي تنتمي الى الحقل الوجودي أكثر من غيرها من مثل: السأم والحزن والفراغ والضياع ...الخ, وخير من يمثل ذلك من الشعراء الشاعر صلاح عبد الصبور ,ففي تجربته الشعرية نماذج معبرة عن المذهب الوجودي، وشيوع الالفاظ التي تنتمي الى الحقل الوجودي في شعره المتمثلة بالقلق ,والعدمية ,والضياع. والنّماذج المتخيّرة من منجزه الشعري ستعرف القارئ بذلك،والمتمعن في شعره يتلمس ميلا واضحا نحو الفلسفة الوجودية، وأفكارها وطروحاتها.

والوجودية عنده ليست إلا مرحلة من مراحل تطوره الشعري، وهي مراحل متداخلة فيما بينها، فقد بدأ وجوديا وقضى مرحلة من حياته ماديا وانتهى شاعرا صوفيا.

المقدمة

إن جل الباحثين الذين تصدوا لدراسة الشعر العربي الحديث اثاروا مسألة تأثر المنجز الشعري الحديث بالتيارات الفكرية التي سادت في المجتمع العربي, وبالأخص شعر الشعراء الرواد, الذين تأثروا بها وتمثلوها في شعرهم، ففي هذه الأشعار كلمات تنتمي الى الحقل الوجودي وتعبر عنه، من مثل: السأم والحزن والفراغ والضياع ... الخ, وقد برز من بين هؤلاء الشاعر صلاح عبد الصبور الذي تميز شعره بشيوع النماذج المعبرة عن المذهب الوجودي.من هنا كان التوجه لدراسة مظاهر الوجودية في شعره .

وتبعا لمقتضيات الموضوع فقد ضم البحث تمهيدا ومبحثين وانتهى بخاتمة تلتها قائمة بالمصادر والمراجع, اهتم التمهيد بدراسة المرجعيات واثرها في الشعر العربي الحديث, وتناول المبحث الأول دراسة الفاظ الحزن والقلق والضياع وهي مظهر من مظاهر الوجودية, في حين توجه المبحث الثاني إلى دراسة الفاظ السأم والضجر والتيه, وجاءت الخاتمة لتقف عند اهم النتائج التي توصلت اليها الدراسة.

والمنهج المتبع في الدراسة تمت المزاوجة فيه بين منهجين، هما:

أ- المنهج التاريخي، للوقوف على العلاقةِ بين المرجعيات الفكرية والشعرِ، وعلاقات التأثير والتأثر بينهما .

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-796X

vol 36 No.1 Dec. 2021

ب- المنهج التحليلي، لرصد مدى أثر الوجودية في قصائد الشاعر.

التمهيد: اثر المرجعيات الفكرية في الشعر العربي الحديث

مر الوطن العربي في اربعينيات وخمسينيات القرن الماضي بظروف قاسية على المستوى السياسي والاجتماعي والفكري ,وكانت لها مردودات سلبية في نفوس المثقفين والمبدعين والشعراء خصوصا، فكانوا يعانون من قوى التسلط والظلم التي حكمت البلاد, إضافة إلى الانهيار الحاصل في الواقع العربي وما أحدثه من خلخلة للثوابت، وزرع للشكوك ، وقد عبر الشعراء عن تلك الظروف في الغالبية العظمى من قصائدهم، إلا أنهم في الوقت نفسه كانوا يحلمون بالحرية والثورة على الظلم والطغيان فواكب حلمهم هذا مرحلة الإرهاصات بالتحولات الكبرى في العالم العربي على كافة المستويات في أواخر الأربعينيات.(١)

والتغييرات التي حدثت في شكل القصيدة ومضمونها كانت انعكاساً لتغيرات جذرية حصلت في الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للإنسان العربي, ويرى احد الباحثين ان حركة الشعر الجديد . د اتخذت "انعطافا تاريخيا جديدا ، وشهدت – حركة الشعر – تحولات فنية وفكرية جديدة تتوافق والتحول الفكري والحضاري لعالمنا اليوم, يقوم به عدد من الشعراء الشباب الجدد، وعدد من الشعراء الذين قادوا الحركة في الخمسينيات في منطلق جديد ووعي فني معاصر"(٢)؛ فتباينت تبعاً لذلك أشكالها التعبيرية وآلياتها الفنية وفق أسس شعرية رأى فيها أصحابها القدرة على حمل تجارب العصر الجديدة , ف . . . . . ."التجربة الشعرية في جوهرها تستمد نسغ حياتها من وجود الشاعر الوجداني وحضوره الحسّي وآفاقه التأملية، في جو خاص يختلف كل الاختلاف عن الأجواء الاعتيادية لا في الشكل فقط بل في تكوينه كذلك. وهذا العالم من الشمول بحيث تتداخل فيه الأحاسيس والمشاعر واللغة والذاكرة معاً، في عملية مكثفة بالغة التعقيد تستمد وجودها من الحياة على نحو مباشر أو غير مباشر، في ماضيها وحاضرها ومستقبلها معاً". (٣)

فالقصيدة الحديثة لم تعد تقدّم للقارئ أفكاراً ومعاني فحسب ،شأنها شأن القصيدة القديمة، وإنما أصبحت تقدّم له اضافة لذلك فضاءات من الأخيلة والصور والانفعالات وتداعياتها .(٤)

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-796X

vol 36 No.1 Dec. 2021

وقد وجد الشاعر العربي في الشعر الغربي متكآت فكرية تعينه على التعبير عن تجربته الخاصة بطريقة تحمل كثيرا من الجدّة، فثقافة الشاعر الحداثي اضحت مزيجا من الادب، والفكر، والفلسفة، ولم يعد الشعر –عنده – نصاً عفوياً او قولا مرتجلا، بل هو نص مركب من عناصر معرفية شتى، تختلف من شاعر لآخر تبعا لثقافته, ويرى أحد الباحثين ان "أيديولوجية الشاعر الحديث تنبع أساساً من إحساسه الذاتي بالقضايا الكيانية الكبرى ، لذلك فهو لا ينحصر في أطر سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية وإنما يكتسب أيديولوجيته في الإطار الحضاري الشامل لمأساة الإنسان"[٥] ,فكانت نتيجة ذلك أن الشاعر "لم يعد يقوى على الفرح والتفاؤل، والامتثال لأي شيء كان أكثر أُلفة مع الكآبة والشك والرفض والمغايرة، و ينزع في بعض لحظات يأسه إلى التدمير والتمرد والصراخ"[٦]. كل ذلك خلق في نفس الشاعر "حالة من اليأس وأشاع القلق والمفاهيم الفردية وخاصة لدى الشاعر الذي هو اكثر من أي مثقف اخر ارتجاجا..."[٧]، وأشار الناقد فاضل ثامر الى تجربة شعراء الستينيات بقوله:"نأى الشعر الستيني تحت هم التشكيل والتجريب والتفلسف والرفض وعانى من جراء هذا المخاض التجريبي المرير. ولم يعد الشاعر يجترح سوى هموم الكون والفكر والسياسة والفلسفة، فاستحال إلى جهاز استقبال حساس ومنهك، ملئ بأصوات العصر وصرخاته وأصدائه، فخسر الشعر نتيجة لذلك براءته وتلقائيته، وبدا قاتماً كئيباً، مثقلاً بهموم الدنيا كلها"[٨],وبهذا يكون الشعر العربي الحديث والمعاصر شديد الحساسية بتموجات الفكر العالمي وذبذباته, وهذا ما نراه واضحا في المنتج الشعري.

كما قلنا سابقا ان ثقافة أي الشاعر لا يمكن ان تكون نتاج عنصر ثقافي محدد، ولكنها اجتماع لعدة خبرات وثقافات تختلف باختلاف وتنوع الثقافات، وهذا ما سنجده جليا في شعر صلاح عبد الصبور اذ يصور لنا معاناة الإنسان المعاصر، المحطم الإرادة، الضائع، القلق في ظل تلك الحضارة الزائفة الرتيبة, والمتصفح لشعره، لابد أن يثير انتباهه طغيان الكلمات التي تنتمي الى الحقل الوجودي أكثر من غيرها من مثل "الحزن, والشك والتيه والفراغ ..الخ". اذ يعاني "الوجوديون من احساس اليم بالضيق والقلق واليأس والشعور بالسقوط والاحباط لان الوجودية لا تمنح شيئاً ثابتا يساعد على التماسك والايمان وتعتبر الانسان قد القي به في هذا العالم وسط مخاطر تؤدي به الى الفناء"[٩] وهذا الاحساس قد ولدته المرجعيات التي سادت عصره على اختلافها, فتأثر ببعضها وتبناها وكانت الفلسفة الوجودية هي واحدة من أهم هذه المرجعيات.

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-796X

vol 36 No.1 Dec. 2021

المبحث الاول: الحزن والقلق والضياع

عاش صلاح عبد الصبور(١٩٣١-١٩٨١م) في عصر سادت فيه تيارات فكرية وفلسفية مختلفة . ومنها الفلسفة الوجودية التي عُرفت في المنطقة العربية بعد نكسة ٦٧ , وهذه الفلسفة كانت ذات رؤية محددة , فهي لا تولي اهتماما للهم الاجتماعي العام , بل كانت تركز على الحل الفردي, فهي فلسفة عن الذات أكثر منها عن الموضوع[١٠], ولاريب ان الشاعر خاضع لمؤثرات بيئته المادية والاجتماعية، واذا كان حرا وفعالا وخالقا في استجابته لهذه المؤثرات, فقد ابدع في تصوير الواقع.

برزت في شعره الفاظ الحزن، والقلق، والضياع، والتي تعد من الموضوعات الوجودية العامة، وانفرد "بسمات خاصة قربت بينه وبين الاحساس بالمتغير الثقافي العالمي, فكان اكثر تجاوبا ووعيا مع جوانب خاصة من الشعر العالمي, مثلت في جملتها حالات من الاحساس بالتفاؤل والضياع والغربة"[١١],وفي قراءتنا لمجموعاته الشعرية , نجد أن الشاعر قد نجح في عكس حالة التوتر المتنامي في داخله, هذا التوتر الذي يشي بعمق الحالة الشعورية في نفسه المحتدمة بكل المشاعر المتمردة والرافضة للواقع والتي يشوبها الحزن :

"يا صاحبي إني حزين
طلع الصباحُ فما ابتسمت ولم ينر وجهي الصباح
وخرجت من جوف المدينة أطلب الرزق المتاح
وغمستُ في ماء القناعة خبز أيامي الكفاف
ورجعت بعد الظهر في جيبي قروش
فشربت شايا في الطريق"[١٢]

تتحدث هذه القصيدة عن الحزن الذي يعني في كثير من تداعياته التأمل والغوص في أعماق النفس البشرية ، وبواعث الحزن في شعره ليست في الحرمان بل هو حزن فكري ناشئ عن تفكير في الحياة وتأمل في احوال

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-796X

vol 36 No.1 Dec. 2021

الإنسانية وحزنه لا ينبع من نفسه وحده بل ينبع من المجتمع قبل كل شيء, فنرى الشاعر يميل إلى اصطفاء الصور والرموز الحسية التي من شأنها إثارة المشاعر والأحاسيس المؤلمة في أعماق المتلقي ,وسعيه لتعميق الإحساس بمدى سيطرة الحزن على روحه (يا صاحبي إني حزين)

، وبعجز المحاولات التي يبذلها من أجل الخروج من حالة الحزن التي يبدأ بها صباحه (طلع الصباحُ فما ابتسمت ولم ينر وجهي الصباح) ,وكل ما يفعله لا يمكن أن يبدد ذلك الحزن الوجودي الدائم والمتجدد، والذي لا يكاد يغادره الا قليلا :

"الحزن قد سمل العيون

الحزن قد عقد الجباه

ليقيم حكاما طغاة "(١٣)

يلمح القارئ روحه الحائرة الحزينة المضطربة(الحزن قد سمل العيون ,الحزن قد عقد الجباه) وقد تعامل الشاعر مع الحزن تعاملاً وجوديا خالصاً انطلاقاً من وعيه الشعري ومن إحساسه المرهف بالوجع الانساني. وقد وجد الشاعر في التيار الوجودي ما يعكس موقفه تجاه الوجود ، وما يعبر عن رؤيته الفكرية والفلسفية وما ينطوي على تلك الرؤية من أبعاد تتناغم وروحه المنكسرة.

عاش عبد الصبور في دوار حقيقي ؛ وتوصّل إلى اللاّجدوى ، فهي منبع الحزن والضجر في شعره . فيثير الشاعر باستمرار أسئلته الوجودية التي تدور في دوامة البحث عمّن يفك لغز الانسان الأبدي ، وهذه الأسئلة تنم عن عقل قد تشرب بمعاني الحياة وأسرارها العميقة ، ولكنه لمّا يزل يجهلها , لذلك سعى الشاعر للتعبير عن رؤاه وأفكاره , وموقفه العام من قضايا العصر، من خلال تصور يحمل بعداً فكرياً وفلسفياً للشاعر يعبر من خلاله عن قضاياه الذاتية مقترنة بالهم الجمعي , فيصرخ في قصيدة (الظل والصليب):

"أنا رجعتُ من بحار الفكر دون فكر

قابلني الفكر ، ولكني رجعت دون فكر

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-796X

vol 36 No.1 Dec. 2021

أنا رجعت من بحار الموت دون موت ..

أنا الذي أحيا بلا أبعـ ـاد

أنا الذي أحيا بلا آمـ ـاد

أنا الذي أحيا بلا أمجـ ـاد

أنا الذي أحيا بلا ظل .. ولا صليب"(١٤)

الشاعر هنا رجع (من بحار الفكر دون فكر) وكأنه يشير الى انه قد فقد حسه الانساني اذ يمكن للفكر أن يخلع على الحياة دلالتها كونه حاجة ضرورية تكتمل معها إنسانية الإنسان الذي يفكر ليعيش (١٥)وفي رحلته اكتشف أن كل شيء فقد معناه(أنا الذي أحيا بلا أبعـ ـاد, بلا آمـ ـاد, بلا أمجـ ـاد, بلا ظل), فرحلته عبر الفكر الإنساني جعلته يكتشف ضياع الإنسان نفسه؛ إذ لم يبق له شيء، وكأنه ضياع كتب عليه أن يعيشه بكل تفاصيله, فالوجودية تقوم على ((اساس القبول بالعدمية والتعطيل فالعالم في نظرهم وجد بغير داع ويمضي لغير غاية والحياة كلها سخف يورث الضجر والقلق))(١٦) لذا جاء شعره مثقلا بالحزن والاسى، حاملا للنزعة الانسانية التي اصبحت قناعه الشعري الذي يتخفى خلفه لذلك اتسم حزنه بالخلود(١٧) فنجده يستيقظ على عالم مبهم لا يعرفه فيه أحد:

أموت ... لا يعرفني أحد " "

أموت لا يبكي أحد

وقد يقال بين صحبي . في مجامع المسامرة

مجلسه كان هنا، وقد عبر

فيمن عبر

يرحمه الله "(١٨)

فها هو الشاعر منسي (أموت ... لا يعرفني أحد) ولن يبكيه احد (أموت لا يبكي أحد) يعبر كما يعبر أي احد , ولذلك، يحيا على شبح السأم، والضجر، فكل شيء فقد معناه ومسماه فصورة الضياع والقلق تبدو أشد قساوة وضراوة وتكاد تسحق الامل في نفسه فيعبر عنها قائلا :

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-796X

vol 36 No.1 Dec. 2021

"أصحو أحيانا لا أدري لي اسما ،

أو وطنا ، أو أهلا ..

هذا يوم مكرور من أيامي

يوم مكرور من أيام العالم

تُلقيني فيه أبواب في أبواب .."(١٩)

الشاعر بفعل حساسيته المفرطةِ, جرب أن يحس بوحدته و تفرده في الكون، و تولى أمر نفسه بنفسه، فشكك في الحقائق و مال إلى التفلسف الوجودي، بفعل إحساسه بالعبث و القلق و المرارة المظلمة .وتشف كثير من قصائده عن رؤية تأملية ذات دلالات روحية عميقة، وفي هذه القصائد تنبض خلجات وجدان متأمل صقلته التجارب والتأملات العميقة في الكون, والحياة, والانسان لينتج الشاعر صورا من التأمل الفكري .يقول في قصيدة (أغنية إلى الله):

"حزني ثقيلٌ فادحٌ هذا المساء

كأنه عذابُ مصفدين في السعير

حزني غريب الأبوين

لأنه تكوَّن ابن لحظةٍ مفاجئة

ما مخضته بطن

أراه فجأةً إذا يمتد وسط ضحكتي

مكتمل الخِلقةِ ,موفورَ البدن

كأنه استيقظ من تحت الركام

بعد سباتٍ في الدهور"(٢٠)

يلتقي الشاعر مع الوجوديين في الإحساس الحاد بالألم لأنه يحس بآلام الإنسان كإنسان, وتطل المعزوفة الوجودية من النتاج الشعري لعبد الصبور متخذة صورا أخرى، في مقدمتها فكرة الرفض. فهو يرفض عصره

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-796X

vol 36 No.1 Dec. 2021

رفضا مطلقا ، ولا يرى فيه غير الموت واليبس،إنّ تجربة الشاعر ، بقدر ما تشكل تجربة غنية برؤاها الوجودية، فإنها تمثل – في الوقت ذاته – نهاية الرحلة التي خاضها الشاعر في هذا الوجود ، بعد القلق والحيرة والحزن الذي يستيقظ من تحت الركام (كأنه استيقظ من تحت الركام بعد سباتٍ في الدهور)، الأمر الذي جعله يعبر عن رؤية جديدة معاصرة والكلمات التي تتسرب من ذهن الشاعر هي أفكار مثلما هي أشكال لغوية تنطلق منه باتجاه رؤيته التأملية نحو الحياة والكون. وفي قصيدة (أغنية للشتاء) يقول:

"ينبئني هذا المساء أنني أموت وحدي

ذات مساء مثله ذات مساء

و أن أعوامي التي مضت كانت هباء

وأنني أقيم في العراء

ينبئني شتاء هذا العام أن داخلي...

مرتجف بردا

وأن قلبي ميت منذ الخريف

قد ذوى حين ذوت

أول أوراق الشجر"(٢١)

يبدو التشاؤم والشعور بالوحدة واضحاً في هذه القصيدة ,فترى الشاعر يتحد مع الطبيعة اتحادا كاملا فهو يذوي حين تذوي الطبيعة (وأن قلبي ميت منذ الخريف قد ذوى حين ذوت أول أوراق الشجر) نرى ان القصيدة تشيع فيها الالفاظ الدالة على الوحدة والضياع (أموت وحدي, هباء, العراء ,مرتجف , ميت ,خريف,ذوى) هذه الألفاظ تعبر بشكل واضح عن الحالة النفسية التي تعتري ذات الشاعر ، وقد تفنن في استغلال المفردة الشعرية من خلال الإمكانات اللغوية التي تتيحها المفردة له، من حيث تطويعها لصالح تجربته الخاصة بكل ما تحمل هذه التجربة من مشاعر وأحاسيس ، وقد انشغل الشاعر بتصوير ذاته، في الدقّ على أوتار اليأس والميل الى التشاؤم، وإهمال الوجود الخارجي والانطواء على الذات.

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-796X

vol 36 No.1 Dec. 2021

صلاح عبد الصبور شاعر التمرد والبساطة والواقعية، أعطى الشعر نكهته الإنسانية، أما مدلول شعره فكان مردّه الى الواقع الاجتماعي، لأن الشعر عنده أداة لبث الوعي ضد الظلم والطغيان، موضحاً أن الشعر يؤكد القيم كالحقيقة و الحرية و العدل ,فما هو إلا الذات المعاصرة وهي تواجه واقعها المعقد. فيطرح الشاعر المتأمل اسئلته المتلهّفة لمعرفة الحقيقة ، ويتجاوز في أسئلته حدود الزمان والمكان سعياً إلى أجوبة تشفيه وتريحه ، وقد تبعث فيه هذه الأجوبة الحيرة والألم لتكشف سرّ عذابه, هذا العذاب الذي ينطلق كصرخة مدوية معلنة الهزيمة والانكسار.

وللشاعر عدد من القصائد التي حملت الحزن عنواناً لها , ,واعماله اقرب الى المأساة، فهو لم يصافح الامل في اعماله الا قليلا، لكن هذا لا يعني بالطبع فقدان الامل، فالشاعر المتألم شاعر رافض لآلامه حتى في حالة ادمانه الالم وحتى في حالة عقد علاقة صداقة مع المعاناة. وتتضح احزان عبد الصبور في شعوره بالوحدة، الوحدة التي تنتظر المساء, فساعات العصر تذكره باقتراب المساء:

"وأتى المساء

في غرفتي دلف المساء

والحزن يولد في المساء لأنه حزن ضرير

حزن طويل كالطريق من الجحيم الى الجحيم

حزن صموت

والصمت لا يعني الرضاء بان امنية تموت

وبأن اياما تفوت"(٢٢)

لا يستطيع الشاعر ان يتخلص من الشعور بالوحدة والحزن حيث يذهب النص إلى تأكيد فكرة سيطرة الحزن على حياة الشاعر (والحزن يولد في المساء لأنه حزن ضرير) وأن الزمن يعتصره الى الحد الذي تتحول معه كل أوقاته الى مساء، فهو ميعاد الحزن لان الحزن ضرير فلا يرى سوى الظلمة، لكنه لا يلبث ان يعود، انه

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-796X

vol 36 No.1 Dec. 2021

يخاطب الوجدان الانساني يشكو اليه حزنه الطويل الذي يبدأ وينتهي بالجحيم (حزن طويل كالطريق من الجحيم الى الجحيم).

المبحث الثاني: الوحدة والسأم والضجر والتيه

يرى صلاح عبد الصبور أن "نظر الإنسان في ذاته هو التحول الأكبر للإدراك البشري؛ لأنه يحيل هذا الإدراك من إدراك ساكن فاتر إلى إدراك متحرك متجاوز . ويرتقي باللغة البشرية إلى مرحلة الحوار مع النفس الذي هو أكثر درجات الحوار صدقاً ونزاهة وتواصلا .إذ تصبح فيه اللغة نقية صافية خالية من سوء التفاهم وتشتت الدلالات" ،[٢٣]

يقول في قصيدة (الظل والصليب):

"هذا زمان السّ . . أم

[.....]

أنا الذي أحيا بلا أبع اد

أنا الذي أحيا بلا آم اد

أنا الذي أحيا بلا أمج اد

أنا الذي أحيا بلا ظل .. ولا صليب" [٢٤].

اكتشف الشاعر أن كل شيء فقد معناه، ورحلته عبر الفكر الإنساني جعلته يكتشف ضياع الإنسان نفسه؛ إذ لم يبق له شيء، ولذلك فهو يستيقظ على عالم مغلق, وكل شيء يدور حول ذات الشاعر أي أن "الذات هنا تصبح محوراً أو بؤرة لصور الكون وأشيائه، ويمتحن الإنسان من خلال النظر في ذاته علاقته بهذه الأشياء. وقد يدير نوعاً من الحوار الثلاثي بين ذاته الناظرة وذاته المنظور فيها وبين الأشياء. ومن خلال هذا الحوار تتولد الحقيقة التي يحدثنا سقراط أنه من المستحيل أن تغرس في نفس الإنسان".[٢٥]

فالشاعر هنا يحيا على شبح السأم، والضجر، ويتيه في مدينة أسست على التكرار، وفقد الإنسان فيها ذاته، حتى أبسط رموز وجوده وهويته يجد نفسه تتقاذفه الابواب مسلوب الارادة :

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-796X

vol 36 No.1 Dec. 2021

"أصحو أحيانا لا أدري لي اسما ،

أو وطنا ، أو أهلا ..

هذا يوم مكرور من أيام العالم

تُلقيني فيه أبواب في أبواب "[٢٦]

ان هذا الإحساس بالوحدة والسأم واللاجدوى ماهي الا آلام إنسانية صادقة تنم عن حالة تمرد يقود الشاعر إليها وعيه المبدع، رافضاً ان يحيا على نحوٍ آلي مستنسخ, باحثا عن التغيير وكان هذا وليد الشعور بالاغتراب "الذي ولد في نفسية الشاعر الاحساس بالقهر والظلم والضعف وهذا يتضح من خلال شعره الذي يصور فيه عدم انسجامه مع الواقع وهذه العلاقة افرزت الاكتئاب والضجر وهي من خصائص الفلسفة الوجودية"[٢٧]. ومثلما وجد الشاعر ما يعكس موقفه تجاه الوجود ما يعبر عن رؤيته الفكرية والفلسفية وما ينطوي على تلك الرؤية من أبعاد تصور الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر بين الرفض والقبول ,بين التمرد والاستسلام ,هو مد وجزر تعيشه ذات الشاعر. وفي نص اخر يقول:

"وكأن علينا قد خطت اقدار

وكأن الغربة ميقات لابد نؤديه

ان نضرب اعواما في التيه

ان نعبد اصناما مكذوبة"[٢٨]

في هذا النص يسعى الشاعر إلى تصوير رحلة الذات وهي تجوب الآفاق تبحث عمّا يحقق أحلامها وطموحاتها في الواقع المادي ولكن حين تصطدم بهذا الواقع (وكأن الغربة ميقات لابد نؤديه) واقع فرض عليه لم يكن بإرادته (وكأن علينا قد خطت اقدار) فرضته الاقدار عليه, كل هذا قد أفرغ الحياة من معناها بالنسبة للشاعر, وبات مجبرا على السير في طرقات الحياة مسلوب الارادة. وفي نص اخر غدت الحياة عند الشاعر مجرد انتظار من لا يأتي, فهو حائر تمضي به الحياة الى حيث تشاء مسلوب الارادة، يتمنى لحظات تأتي لتغير واقعه المؤلم، يتطلع الى اشراقة قصيرة تبدد ظلمة الليل ولو للحظات، أو هدوء ينعم معه بالسكينة في لحظة من نهار :

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-796X

vol 36 No.1 Dec. 2021

"وهكذا تمضي الحياة بي

هل ..

لحظة مشرقة في ظلمات الليل

أو .. لحظة هادئة في غمرة النهار." (٢٩)

ولكن ما يتمناه لن يتحقق، وما ينتظره لن يأتي (اعيش في انتظار) ، لذلك فهو يعيش حالة ضلال وتيه، وسعي خاسر بعد طول سف ر وبحث عن نور عن اشراقة(لحظة مشرقة في ظلمات الليل) ,عن هدوء(لحظة هادئة في غمرة النهار) هو بحث انسان قد هده التعب تعب الانتظار كي يحيا بهدوء بعيدا عن الصخب معلنا استسلام غريب(وهكذا تمضي الحياة بي) ليس هو من يمضي بل الحياة هي من تمضي به ، والشاعر يفطن لمأساة أخرى وينطقها شعرا ، فيشبه آلامه بآلام المسيح، فكلاهما قد صُلب، ولكن صليبه مختلف، فحبه للناس وإحساسه بآلامهم وما يعانون جعله كالمصلوب الذي يقاسي الألم:

" أنا مصلوب والحب صليبي

وحملتُ عن الناس الأحزان

في حب إله مكذوب

لم يسلم لي من سعيي الخاسر إلا الشعر

كلمات الشعر

عاشت لتهدهدني." (٣٠)

غير أن ذلك الحب الذي كان بمثابة خشبة الصلب للشاعر(أنا مصلوب والحب صليبي) لم يكن من ورائه طائل، فقد حمل الاحزان عن الناس(وحملتُ عن الناس الأحزان) فلم يحصد من الحياة التي كان سعيه خاسرا فيها الا من الشعر(لم يسلم لي من سعيي الخاسر إلا الشعر .)

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-796X

vol 36 No.1 Dec. 2021

الكتابة عند صلاح عبد الصبور رحلة مضنية في طريق قلق، محفوف بالمزالق والمخاطر؛ لأنه أشبه بطريق الصوفي الباحث عن الجوهر والطهر في ركام المفاسد والشرور. ويرى الشاعر أن الذات لكي تَعِيَ ذاتها عليها أن تعتزل ، وكل فن عظيم لا يولد إلا في ظلال الوحدة .[٣١]

"لا ، لا تنطق الكلمة

دعها بجوف الصدر منبهمه

دعها مغمغمة على الحلق

دعها ممزقة على الشدق

دعها مقطعة الأوصال مرمية

لا تجمع الكلمة ..

دعها رمادية

فالكون في الكلمات ضيّعنا"[٣٢]

الكلمة مسؤولية(لا تنطق الكلمة)،من يقرأ هذه المقاطع يجد أن الشاعر يعكس حالة التوتر المتنامي في داخله، هذا التوتر الذي يشي بعمق الحالة الشعورية في نفس الشاعر المحتدمة , في عالم بائس ليس فيه سوى الصمت والتراجع, حالة رفض لكل ما يقال فنحن امة دمرتنا كلمة وصنعتنا كلمة ,هي دعوة لان تترك الكلمات دعها(منبهمة , مغمغمة, ممزقة, مقطعة, مرمية :(

"احرص الا تسمع

احرص الا تنظر

احرص الا تلمس

احرص الا تتكلم

قف!....

وتعلق في حبل الصمت المبرم" [٣٣]

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-796X

vol 36 No.1 Dec. 2021

تشف قصائد كثيرة للشاعر عن رؤية تأملية ذات دلالات روحية عميقة، وفيها تنبض خلجات وجدان متأمل صقلته التجارب الانسانية, , فينتج لنا صورا من التأمل الفكري مسبوقا بأمر يصدره الشاعر لنفسه وللآخرين ويكرره ٤مرات في النص(احرص) الا (تسمع, تنظر, تلمس, تتكلم), ويكون الصمت هو النهاية التي يتعلق بها. ,وكأن الهدف من ذلك هو تأسيس رؤية إنسانية قادرة على إدانة المظاهر السلبية في بنية الحياة العامة , ولربما هي رؤية سوداوية تشيع الموت والتوقف في كل شيء او الرفض لكل مظاهر الحياة والدعوة للتنحي ليغدو انسان العصر اعمى ابكم اصم , انسان معاق بإرادته الحرة.

وفي قصيدة أخرى يقول:

لو كان للإنسان أن يعيش لحظة العذاب "
مرتَّين ...
بكل عُمقِها الكئيب، الساذَجِ المقْرُور
وأن يلِدَ الآهةَ.. مرتَّين
خالِصةً بلا سُرور
وأن يجسَّ ذلك الشيء الحزين جِسَّتين
لكي يرى فجاءَتَه
ويستبين وجهَهُ ومِشْيَتَه
لو اتكأت.. أيها الشيءُ الحزين مرةً على مرافئ العيون
...لو ركبكَ المسافرون
... ينزلُون "(٣٤)

وها هو شعر عبد الصبور الوجودي يمتلئ بالتساؤلات الفلسفية، التي تؤكد على الحيرة والبحث عن وجود الانسان وسط المعاناة والالم والاحتياجفالقصيدة تعكس موقف الشاعر الفكري وهو يواجه لحظة الصراع الحضاري, إذ يحاول أن يصور حالة الهبوط والانكسار هذه بقوله:

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-796X

vol 36 No.1 Dec. 2021

" " معذرة يا صحبتي

لم تثمر الأشجار هذا العام

فجئتكم بأردإ الطعام

و لست باخلا, و إنما فقيرةٌ خزائني

مقفرةٌ حقول حنطتي

معذرة يا صحبتي, فالضوء خافت شحيح

و الشمعة الوحيدة التي وجدتها بجيب معطفي

أشعلتها لكم

لكنها قديمة معروقة

لهيبها دموع

معذرة يا صحبتي, قلبي حزين

من أين آتي بالكلام الفرِح؟" (٣٥)

هو اليأس من الحياة ,والشعور بالفراغ ,والبحث المضني عن الغاية من وجود الانسان وما يصيبه من تعب ومعاناة في هذه الحياة , إنّ الخيبة واليأس، إنما تؤكد حالة الجدب الروحي التي ألمت بالذات, وحالة انكسار النفس الانسانية حين لا تجد ما تعطيه رغم الامنيات بان يكون هناك شيء ليعطى, وقد وجد الشاعر في كل ذلك ما يعكس موقفه تجاه الوجود , وقد حاول جاهدا ان يعبر عن ذلك في نصوصه الشعرية, وأن يؤسس لمشروع تلتقي فيه الوجودية والصوفية في ان واحد.

الخاتمة

بعد هذه المسيرة التي حاول البحث عبرها الكشف عن مظاهر الوجودية في شعر صلاح عبد الصبور عبر تلمسها في شعره, تجلت نتائج حرصت الدراسة على بيانها ، ومن أهمها :

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-796X

vol 36 No.1 Dec. 2021

- ان الشكل الشعري الجديد أصبح يعبر عن ثمار الرؤية الحضارية الجديدة، بعد أن أفرزته مجموعة من النكبات والنكسات.
- مرور الشاعر صلاح عبد الصبور بتجارب عدة أكسبته معرفة واسعة بالأمور السياسية والاجتماعية والفلسفية وانعكس ذلك بوضوح على شعره.
- أنكر الشاعر أن يكون البحث عن اليقين فعلا فرديا؛ لان الذات الجمعية – بدورها– إنما تحاول العثور على يقينها الخاص بالحياة والكون.

للشاعر عدد من القصائد حملت الحزن عنواناً لها ، فهو لم يصافح الامل في اعماله الا قليلا.

- مثلت تجربة الضياع والتمزق النفسي والاضطراب الداخلي والقلق الوجودي والغربة الذاتية والمكانية، الجانب الاكبر من الموضوعات التي تميز بها شعر صلاح عبد الصبور, وكان هذا بفعل التأثر بالفلسفة الوجودية.

الهوامش

[1] ينظر: دراسات في الادب العربي الحديث , د. محمد مصطفى هدارة, دار العلوم العربية – بيروت– لبنان – ,ط١– ١٩٩٠: ٤١ – ٤٢. وينظر: صدى ما بعد الحداثة , رضوان جودت زيادة , المركز الثقافي العربي , الدار البيضاء – ط١– ٢٠٠٣ – ص٨– ٩ .

[2] في الشعر العراقي الجديد : ١٧ .

[3] الطريق والحدود –مقالات في الأدب والمسرح والفن–، يوسف عبد المسيح ثروت، منشورات وزارة الأعلام العراقية، بغداد، ١٩٧٧ :٢٧٨.

[4] ينظر : زمن الشعر ، أدونيس : ٢٧٨ .

[5] شعرنا الحديث .. إلى أين ؟ الدكتور غالي شكري : ١٣٣ .

[6] شعرنا الحديث .. إلى أين ؟ الدكتور غالي شكري : ١٣٣ .وينظر: الحداثة وما بعد الحداثة, د. محمد سبيلا, مركز دراسات فلسفة الدين –بغداد,٢٠٠٥,: ٢٨.

[7] في الشعر العراقي الجديد : ١٩.

[8] الصوت الآخر "الجوهر الحواري للخطاب الأدبي" ,فاضل ثامر, دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد, ١٩٩٢ :٢٩٧.

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-796X

vol 36 No.1 Dec. 2021

[٩]()الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة ,اشراف وتخطيط ومراجعة د. مانع بن حماد الجهني, مج١ مج ٢,ط . ٣, دار الندوة العالمية ١٤١٨هـ . ,الرياض: ٨٢٨- ٨٢٩.

[١٠]()الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة , مج١ مج ٢: ٨٢٨.

[١١]() الادب المقارن بحوث ودراسات ,حلمي بدير , دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر , ٢٠٠١: ٣٢٣-٣٢٤.

[١٢]() ديوان صلاح عبد الصبور ,دار العودة – بيروت, د. ط, ١٩٨٦: ٣٦.

[١٣]() م. ن : ٣٨.

[١٤]() م. ن :١٤٩.

[١٥]() ينظر: مشكلة الحياة , زكريا إبراهيم : ٤٨ .

[١٦] ()الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة , مج١ مج ٢: ٨٣٠.

[١٧]() ينظر: اشكاليات الوجود الانساني دراسة نقدية تطبيقية في الشعر الواقعي والحداثي , كاميليا عبد الفتاح, دار المطبوعات الجامعية الاسكندرية , ٢٠٠٨: ٥٥- ٥٦.

[١٨]() ديوان صلاح عبد الصبور: ١٩٤-١٩٥

[١٩]() م. ن :٢٩٤-٢٩٥.

[٢٠]()م. ن:٢٠٦- ٢٠٧.

[٢١]() م. ن :١٩٣.

[٢٢]() م. ن: ٣.

[٢٣]() م. ن: مج٣ : ٧- ٨ .

[٢٤]() م. ن, مج ١, ٢ : ١٤٨.

[٢٥]()م. ن: ٨ .

[٢٦]() م. ن : ١٢٤.

(١) [٢٧]() تجليات مشروع البعث والانكسار في الشعر العربي المعاصر , امنة بلعلي , ديوان المطبوعات الجامعية ,الساحة المركزية بن عكنون ,١٩٩٥: ٦٣-٦٤. وينظر: الشعر والتلقي : علي جعفر العلاق ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، الأردن ن ط١، ١٩٩٧، ٣٩.

[٢٨]() ديوان صلاح عبد الصبور: ١٢٣.

[٢٩]() م. ن : ٣٠٥.

[٣٠]() م. ن : مج ١ , ٢ : ١٢٤- ١٢٥ .

[٣١]() ينظر: م. ن : مج ٣ : ١١.

[٣٢]() م. ن : مج ١ , ٢ : ١٤٤ .

[٣٣]() م. ن , مج ١ , ٢ : ٢٦٤-٢٦٥ .

[٣٤]() م. ن : مج ١, ٢ : ١١٢.

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-796X

vol 36 No.1 Dec. 2021

[٣٥] م. ن : مج ١ , ٢: ١٨٩-١٩٠.

المصادر والمراجع:

- الادب المقارن بحوث ودراسات ,حلمي بدير , دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر , ٢٠٠١.
- اشكاليات الوجود الانساني دراسة نقدية تطبيقية في الشعر الواقعي والحداثي , كاميليا عبد الفتاح, دار المطبوعات الجامعية الاسكندرية , ٢٠٠٨
- تجليات مشروع البعث والانكسار في الشعر العربي المعاصر , امنة بلعلي , ديوان المطبوعات الجامعية ,الساحة المركزية بن عكنون ,١٩٩٥.
- الحداثة وما بعد الحداثة, د. محمد سبيلا, مركز دراسات فلسفة الدين –بغداد,٢٠٠٥.
- دراسات في الادب العربي الحديث , د. محمد مصطفى هدارة, دار العلوم العربية – بيروت– لبنان – ,ط١– ١٩٩٠.
- ديوان صلاح عبد الصبور ,دار العودة – بيروت, د. ط, ١٩٨٦.
- زمن الشعر ، ادونيس ، دار الساقي ، بيروت لبنان ، ط٦ / ٢٠٠٦ .
- الشعر والتلقي : علي جعفر العلاق ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، الأردن ن ط١، ١٩٩٧ .
- شعرنا الحديث .. الى اين ؟ , غالي شكري , دار الافاق الجديدة , بيروت.
- صدى ما بعد الحداثة , رضوان جودت زيادة , المركز الثقافي العربي , الدار البيضاء – ط١– ٢٠٠٣.
- الصوت الآخر "الجوهر الحواري للخطاب الأدبي" ,فاضل ثامر, دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد, ١٩٩٢ .
- الطريق والحدود –مقالات في الأدب والمسرح والفن–، يوسف عبد المسيح ثروت، منشورات وزارة الأعلام العراقية، بغداد، ١٩٧٧.
- في الشعر العراقي الجديد ، طراد الكبيسي ، ط١ ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٩٢ .

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-796X

vol 36 No.1 Dec. 2021

– الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة ,اشراف وتخطيط ومراجعة د. مانع بن حماد الجهني, مج١ مج ٢,ط . ٣, دار الندوة العالمية ١٤١٨هـ . ,الرياض.